

تأملات في الإنجيل

الأحد الثالث من الصوم

صوم الصليب...!!

قيامه الحب الإلهي...!!



حدث الصوم الكبير العظيم هو لقاء الصليب والسجود له...!!

الصليب صنو الإنسان الذي لمسته النعمة الإلهية بالألم، ليُدرك أنه من التراب
وإلى التراب يعود...!!

ما بين إضاعة النفس ولُقيهاها في الصليب لاتباع الرب، يكمن سر حياة الإنسان

على الأرض..!!

”لصليبك يا ربّي نسجد“..!!

ما سرّ الصليب..؟! ما حياة الإنسان بدون صليبٍ ومع الصليب..؟!...

ما سرّ اختيار الصليب..؟!.

أنا، كبشرٍ، الحقُّ في اختيار الصليب... أو نزعهُ عنّا، في حياتنا، إذ نحيا على الأرض..؟!..!!

”مَنْ لَا يَحْمِلُ صَلِيبَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَتَّبِعْ مُعْطِي الصَّلِيبِ، فَلَنْ يَخْلُصَ“..!!..!!

إِذَا نَحْنُ مُكْرَهُونَ عَلَى حَمْلِ الصَّلِيبِ وَلَا مَشِيئَةَ لَنَا فِي قَبُولِهِ أَوْ رَفْضِهِ..؟!..!!..!!

* * * * *

لكن، مَنْ مُعْطِي الصَّلِيبِ..؟! ما سرّ الصليب..؟!..!!..!!

الصليبُ أداة الخزي والعار والقصاص..!!

أوجدهُ الإنسانُ لِيُعَلِّقَ عَلَيْهِ المجرمينَ والقَتلةَ، طارداً به العنف والقوى المضادة السلبية التي تُساكنُ الإنسانَ في جسدهِ فتعذِّبه وكلّ العائشين حوله..!!..!!

”قال الربُّ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبَعَنِي، فَلْيَكْفُرْ بِنَفْسِهِ، وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ، وَيَتَّبَعَنِي..!!..!! لأنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْلُصَ نَفْسَهُ يَهْلِكُهَا وَمَنْ أَهْلَكَ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمَنْ أَجَلَ الْإِنْجِيلِ يُخَلِّصُهَا“..!!..!! (مر 8: 34 - 37).

هكذا، اليوم يأتي الجواب، وفيه التأكيد الكامل على إرادة الإنسان الحرّة، في الاستجابة لنداء الربّ، أو عدم التقيّد، لا بالربّ ولا ببدائه...

لكن، حسن أن نُسأل: مَنْ هو الربّ..؟! إنّه الإله، خالق السّماء والأرض وكلّ مَنْ وما فيها..!!

لذا تصمّت كلُّ شفةٍ عن الجواب، لأنّ تحديد طبيعة وماهيّة وحقيقة النّفس بالنّسبة للربّ الإله، لمتعدّرة على كلِّ مخلوقٍ في الكون..!!

وما نُطِقَ به حتّى اليوم في الإلهيّات، ما هو إلّا تداعيات عطاء ”الروح القدس“، الحالّ في الإنسان يومَ مولده من مشيئة الربّ، ووعيه، تاليًا، أنّه مخلوقٌ من رحمة الإله عليه..!! فلقد خلقه الربّ صنوّاً له، لأنّه أحبّه في ذاته، كذاته... لذلك يستجيبُ الإنسانُ المخلوقُ لنداءِ العليّ ويتبعه ليعاين نورَ مجده، فيحمل سرّ الحياة، سرّ الإبداع والخلق، للانتماء إليه...

أحبّ الإله الخالقُ الإنسانَ مخلوقه في ذاته، كذاته..!!

لم يفرض يسوع على الإنسان، مخلوقه، المبادلة في حبه... لكنّه هيّاه، بالوصايا الإنجيلية الإلهية، إذا مارسها، حتّى أقتبالها بمثابة طبيعة ثانية له، لأن يصير بها، وبالنعمة المعطاة له من فوق، ”إنسانًا متألّها“، على صورة خالقه ومثاله... بالحبّ الذي أغدقه الإله عليه من كيانه، فأحبه، تاليًا، وإذ شاركه في سرّه، وفي العطاء، وفي حمل الآخرين بالكيان وبالقلب..!!

”مَنْ الإنسان الذي اختاره يسوع ليتبعه“..؟!..

”لاوي بن حلفي“ (متّى الجابي، والرّسول) ”زكّا العشار“، ”مريم المجدليّة“، ”مريم المصريّة“...!

أولئك أقامهم من عشارتهم، و"حقارة" مسراهم، وخطيئة وراثتهم لمحتدهم، بقوله لهم: "تعال أتبعني"، و"مغفورة لك خطاياك لأنك أحببت كثيراً"!!!..

ويبقى اسم الحب هو "المسيح يسوع"!!!..

هكذا أنهى يسوع تساؤل كل البشر حول من هم تلامذة الرب ورفقته بقوله: "إني لم آت لأدعو صديقين، بل خطاة إلى التوبة" (مر 2:17).

من هو الخاطيء؟!...! كل إنسان، ولد بعد سقوط آدم وحواء من فردوس الإله، الذي أوجده الأب للبشر!!!..

لا فرق بين يهودي - ولد يسوع من "سبطهم"، خاصة أولئك الذين أحصوه مع الأئمة - و يوناني و روماني و إسكيثي، متعلم، وجاهل، و غني و فقير... رجل أو امرأة وعد...!!! لا... لا فرق بين كل الذين ولدوا قبل الناموس وبعد الناموس... إلا الذين اختارهم الرب فأجابوه "بالنعم"، لحمل صليبه... أتوه لينجوا من "لائهم"، من سلبيتهم، من أهوائهم بالهرب من معرفة خطاياهم!!!..

هكذا كثر الرب الإله الشعوب بتلاوين بشرتها وتباين طبيعتها، معطياً إياها نعمة روحه القدوس، بنفخه نفسه في منخريها... نفس قلبه ليصير قلب الإله قلب الإنسان!!!..

الرب الإله ساوانا، ونحن ما زلنا نضرب بتشتت، نفرق ونمايز ونفتخر... نذبح الغريب والقريب والمخالف... سنتنا، التي نحافظ عليها، هي إزالة الآخر ومحوه من سفر الحياة، لنحكم ونحكم بالباطل لا بالحب، بصد الإله، ولا معه في وصاياها!!!..

لماذا لم يرعو الإنسان؟!.. أرسل الله، له، ابنه الوحيد، بكر الألوهة والحب والجمال والإبداع وكل طيب حسن على وجه الأرض!!!..

وأختلقت على الإنسان معرفته..!!

برقع حبّ الذات والانتقام، لبسهما الإنسان فوق ترابيه جسده ونفخة الإله له،
فضاع البشر بين الحق والباطل..!!

كان الإختيار موجعا، إذ أغرق الإنسان كلّ حسّ طيب من طيب الإله، فابتلع يمه
الشهادة سكون وصمت الإله المتجسد..!! فكانت أداة الحياة الجديدة الخارجة من
قلب الآب لابنه البكر المتجسد، ”خشب الصليب“... وصرخ كل الكون وبشريته..!!
”بالصليب أتى الفرح لكل العالم“..!!..

غضب الإله الآب لم يكن مغمسا بدم الشهادة ورجوة الحنان، قبل تجسد الإله
الرب يسوع..!!

كلّ ما كان وما لم يكن، قبل، صار اليوم صليبا، للذين يبتغون ملء الحب
البكر، الذي للثالوث القدوس... الآب في الإبن بالروح القدس...

اليوم، هكذا حلّ الفردوس في أرض الأحياء..!! وتمشى الآب في الابن على
وجه البسيطة...

كان على الإله الإبن، إما أن يختار الرجعة إلى فردوس نعيمه الذي في
السّموات، أو أن يُنيخ الرأس شابحا يديه على خشبة أقتبال الحياة الجديدة في
الموت، لا عن نفسه، بل عن البشريّة جمعاء، وأفتدائها بالدم المهرق من جنبه، مع
ماء المعمودية الجديد، لطرده الشيطان، من كيان كلّ معمدٍ على أسم الآب والإبن
والروح القدس.

اليوم سقطت كلّ البشريّة الخارجة من فلك نوح في ظلام الخطيئة وقسوة
قلوب كلّ من يحيا بدون مسيح الرب..!!

وبقي الإله، يسوع، الإبنُ البكر الحبيب وحده على الخشبة معلقاً... وماتت
الحياة..!!

اليوم ذَوَتِ الشَّمْسُ... غَامَ القَمَرُ... وأرتعدت فرائصُ كلِّ ذي جسد. أختنقت
الطَّفولة إذ غَيَّبَ الإنسانُ الحبَّ الحقيقيَّ.

ونادت القلَّة. ”إلى مَنْ نذهب.؟؟. كلامُ الحياةِ الأبديةِ عندك.؟؟“. (يو
68:6)..!!.

أنتَ يا إلهنا خلَقْتنا من روحِكَ..!! فاصلِبْ جسدنا الوضيع مع جسدِكَ الطَّاهر
على الصَّليب..!!...علِّنا إذا وعينا هَوْلَ سَقَطِتنا، نُسلِّمَكَ ما عندنا لترَحِّمنا
بمسامحتنا..!!

اليوم نصرخُ إليك: ”يا رحيمَ أرحمنا يا الله كعظيم رحمتك“..!!.

هكذا... نبقي في صمتٍ وترقُبٍ وَعَدِ قِيامَتِكَ ممتدَّةً إلى أعمقِ أعماقنا
لنخلُصَ، منتظرين مجيئَكَ بمجدٍ عظيمٍ يوم قِيامتِكَ.

آمين.

أحد الصَّليب

